التصنيف فلسفته وتاريخه، نظريته ونظمه وتطبيقاته العملية*

عرض:

د. ناريمان إسماعيل متولى

مدرس علم المعلومات

كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية

لقد تحالف إثنان من كبار علماء المكتبات والمعلومات بالوطن العربى، لتأليف هذا الكتاب المتميز فى التصنيف، حيث تناول المؤلفان موضوع التصنيف، من مختلف جوانبه، أى دراسة تاريخه وفلسفة ونظريته ونظمه فضلا عن الإشارة لبعض مشكلات التصنيف العملى.. وستحاول كاتبة هذه السطور إستعراض فصول الكتاب مع إبراز بعض الجوانب التى ظهرت فى هذا الكتاب وغير موجودة فى كتب التصنيف التى ظهرت باللغة العربية فى وطننا العربى أو جوانب غير موجودة فى مؤلفهما السابق عن التصنيف. وقد جاء فى مقدمة الكتاب أن المؤلفين يهدفان **بكتابهما إلى:**

(أ) التكامل مع المواد التى ظهرت فى كتب التصنيف العربية وإلى؛

(ب) الشمول والربط أى شمول الكتاب لمختلف المفردات التى تدرس عادة عن التصنيف فى اقسام المكتبات والمعلومات ومحاولة الربط بين لغات التكشيف أى معالجة التصنيف والفهرسة الموضوعية باعتبارهما وجهين مختلفين للمدخل الموضوعى للمعلومات.. وكان ذلك فى مواضع متعددة أهمها الفصل الخاص بالمكانز والفصل الخاص بالتحليل المقارن للخطط الحصرية والوجهية. وإلى؛

(حـ) التقدم نحو نظرية اسلامية عربية للتصنيف وذلك عن طريق دراسة نظم التصنيف المتأثرة بالأيديولوجيا (كالتصنيف الصينى فى الفصل ١٥ من الكتاب أو التصنيف الروسى فى الفصل ١٤ من الكتاب) ونظم التصنيف المنحازة للثقافة الوطنية (كتصنيف ديوى الفصل ٩ وتصنيف مكتبة الكونجرس الفصل ١١ من الكتاب) فضلا عن تصنيف العلوم عند العرب (الفصل ٤ من نفس الكتاب) فى فترة التفوق الحضارى فى العصور الوسطى، ودراسة أحد التصانيف المتخصصة الحديثة فى علوم الدين الإسلامى (الفصل ١٦ تصنيف «أبو النور ضمن دراسة نظم أخرى للتصنيف) ويذهب المؤلفان (ص١٥) إلى «إننا أردنا بهذا الحالة أن نشير إلى

* أحمد أنور بدر و محمد فتحى عبدالهادى: التصنيف: فلسفته وتاريخه، نظريته ونظمه وتطبيقاته العملية. ـ الرياض: دار المريخ، ١٩٩٥. ـ ٢٧٧ ص ؛ ٢٤ سم.

بداية الطريق نحو نظرية ثم نظام للتصنيف العربى الإسلامى الذى يرتكز فى فلسفته وأهدافه على الدين الإسلامى، ذلك الدين القيم الذى يتوجه للإنسانية جمعاء ويتطلب منا نحن العرب أن نحيط بكل علم حديث فى هذا المجال فى الشرق والغرب».

هذا ويتضمن **الباب الأول** الخاص بتعريف التصنيف وأهميته فى دراسات المكتبات والمعلومات على أربعة فصول ـ يعتبر الفصل الأول ـ فى نظرى مختلفا عما تناوله المؤلفان فى دراستهما السابقة عن التصنيف، إذ تضمن هذا الفصل الأول تعريفا متميزا عن التصنيف فى تطبيق مبدأ التشابه والاختلاف على أساس إمتلاك الاشياء أو عدم إمتلاكها بصفة جوهرية تسمى خاصية Character-istic وكذلك أغراض التصنيف وأهميته والتصنيف وعمالقة الفكر والعلم عبر العصور ومكان دراسة التصنيف بين دراسات المكتبات والمعلومات أما **الباب الثانى** والخاص بـ «نحو نظرية عامة للتصنيف» فقد احتوى أيضا على أربعة فصول وقد أعاد المؤلفان كتابة الفصلين السادس (عن مكونات خطة التصنيف) والسابع (عن المكنز) بطريقة مختلفة وشاملة عما سبق فى دراستهما السابقة، ولكنهما أضافا إلى هذا الباب فصلاً جديدا عن التصنيف والإسترجاع على الخط المباشر (الفصل ٨) وذلك لزيادة إمكانيات الوصول الموضوعى عن طريقة التصنيف خاصة والمكتبات تتجه بشكل فريد نحو الفهارس على الخط المباشر On - line Catalogs فضلاً عن أن التصنيف يقع فى خلفية جميع ألوان التفكير وبالتالى فمن الطبيعى أن يجد مكانه فى نظم الاسترجاع على الخط المباشر فى الحاضر والمستقبل، ويتمثل ذلك على وجه التحديد والدقة فى زيادة عدد الوثائق الصالحة Relevant وزيادة الدقة Precision أى إستبعاد الوثائق غير المرغوب فيها ومقارنة التصنيف للباحث فى عملية التصفح Browsing وأخيراً إستخدام التصنيف فى تصميم قواعد البيانات غير الببليوجرافية واستخدام التصنيف كذلك كلغة تحويل Switching Language فى نظم الاسترجاع على الخط المباشر وقد تناول المؤلفان كلا من تصنيف ديوى العشرى وتصنيف مكتبة الكونجرس ومدى صلاحيتهما فى الاسترجاع الألى للمعلومات، وأظهرا تفوق تصنيف ديوى فى هذا المضمار نظراً لمنطقيته وأمكانيات البتر Truncation للوصول إلى مستويات أفضل فى إستراتيجية البحث، وإنتهى المؤلفان إلى أنه عن طريق الجمع بين الكلمات المفتاحية والمصطلحات فى كل من التصنيف العشرى لديوى (DDC) تصنيف مكتبة الكونجرس (LCC) وكذلك قائمة رؤوس موضوعات مكتبة الكونجرس (LCSH) فإننا سنقدم إمكانيات أكبر فى استراتيجيات البحث، أى أكبر مما يمكن أن يقدمه أى واحد منها على حده.

أما **الباب الثالث** (والخاص بأهم نظم التصنيف) فقد تناول ثمانية فصول، وألاحظ إعادة كتابة ومراجعة معظم الفصول وبخاصية الفصل ٩ (الخاص بتصنيف ديوى العشرى) ليتضمن توسعا فى تاريخ النظام وجداوله ورموزه والقوائم الإضافية أو المساعدة ثم معالجة وشرح المستجدات فى الطبعة العشرين (١٩٨٩) لتصنيف ديوى العشرى وبيان الملامح الجديدة فى الطبعة العشرين مثل الدليل الإرشادى Manual والشكل العام General Format وبعض التغيرات الشاملة والمشاركة الدولية والمراجعات ذات الأهمية فى القوائم الإضافية والمراجعات ذات الأهمية فى الجداول الرئيسية ثم الكشاف النسبى حيث أصبح أصغر فى الحجم من كشاف الطبعة ١٩ عن طريق استبعاد الكثير من المداخل غير المرغوبة أو القلقة أو المكررة، فضلا عن إستبعاد جميع إحالات «أنظر» حيث أصبح لكل مدخل رقم، إلا أنه تم الإبقاء على احالات «أنظر أيضا» التى تقود إلى المصطلحات الأعرض والمصطلحات

ذات الصلة، كما إشتمل هذا الفصل فى نهايته على التعديلات العربية لنظام ديوى العشرى وأهم المواضع التسى حدثت بها التعديلات فى معظم الأعمال المترجمة إلى العربية، كما تم مراجعة وإعادة كتابة الفصل الحادى عشر (عن تصنيف مكتبة الكونجرس) متضمنا آخر الطبعات التى ظهرت من هذا التصنيف للمجالات المختلفة (مثلاً الدين طـ ٣ ١٩٨٤ شاملة للديانات الهندوسية واليهودية والإسلام والبوذية) والدين: المسيحية، الأنجيل (١٩٨٧)، وتاريخ بولندا (١٩٨٧)، وتاريخ آسيا (١٩٨٧)، وتاريخ افريقيا (١٩٨٨)، قانون أوروبا (١٩٨٩)، لغات شرق آسيا (طـ ٢ / ١٩٨٨) والأدب العام (طـ٣ / ١٩٨٨) وتضمن كتاب المؤلفين نماذج توضيحية عديدة فى هذا الفصل وفى الفصل الأخير من الكتاب الذى تضمن تطبيقات عمليه على تصنيف ديوى العشرى (من ص ٢٦٢ ـ إلى ص ٢٧٣) ثم نماذج عملية لتطبيق تصنيف مكتبة الكونجرس على الكتب العربية (من ص ٢٧٤ ـ إلى ص ٢٧٧)، ومما يسترعى النظر والإنتباه أيضاً فى الفصل الخاص بتصنيف مكتبة الكونجرس، اشارات تحليلية مفصلة لكشافات هذا التصنيف وهى مايذكر عادة كنقطة ضعف فى تصنيف مكتبة الكونجرس، وأشار الكتاب إلى محاولات إعداد الكشافات الشاملة لاسيما ذلك الذى أعدته نانسى أولسون Nancy Olson فى خمسة أقسام موضوعية تشمل خمس عشرة مجلداً، فضلا عن إمكانية إستخدام قائمة مكتبة الكونجرس لرؤوس الموضوعات كبديل عن الكشاف العام لأنها تشمل أرقام التصنيف بجوار عدد كبير من رؤوس الموضوعات بها.

أما الفصل الثانى عشر والخاص (بالتصنيف الببليوجرافى لبليس) فيكاد يكون كتابة عن الموضوع جديدة تماما، وذلك بالنسبة لشرح أقسام النظام والرمز عند بليس والكشاف (الذى يحتوى على حوالى ٤٥,٠٠٠ مدخل) وإن كان هذا الكشاف لايوازى الكشاف النسبى عند ديوى، ولكن مايجب الإشارة إليه هو الطبعة الثانية والأخيرة للتصنيف الببليوجرافى وقد قام العالم ميلز العلام البريطانى الشهير والمشرف على متابعة مراجعة التصنيف الببليوجرافى، قام ببيان المزايا التالية للطبعة الثانية باختصار (واردة فى كتاب المؤلفين ص ١٩٢) وهى:

١ ـ إنه نظام ترتيبى متكامل للأقسام الرئيسية يتفوق على أى خطة تصنيف عامة موجودة حاليا.

٢ ـ يتوافر داخل هذه الأقسام ترتيب يعاون الباحث بالنسبة للإستشهاد والصف.

٣ ـ يتضمن النظام «رمزا» يستوعب بطريقة متكاملة المتطلبات الجارية للتخصص، فعلا عن أنه رمز مختصر ومبسط.

٤ ـ كشاف A / Z دقيق ومنتظم للغاية.

٥ ـ يتوافر للنظام خدمة مراجعة ومتابعة.

٦ ـ نظام ينشر فى أجزاء، بحيث يستطيع المستفيد شراء الخطة بأكملها أو شراء ما يحتاجه فقط، ومع ذلك فقد أورد المؤلفان بعض مشكلات التصنيف الببليوجرافى، وبخاصة بالنسبة لإعادة التصنيف والتحيز البريطانى، وتأخر طباعة أجزائه والتى ترتبط مع بعضها بحيث يصبح من العسير شراء أجزاء منها فقط، فضلا عن تحول مكتبات عديدة لتصنيف الكونجرس لتتلاءم مع غيرها بالنسبة لإمكانية الفهرسة المشتركة وغيرها من المشكلات التى أوردها المولفان (ص ١٩٣).

أما **الفصل الثالث عشر** (عن تصنيف الكولون لرانجاناثان) فهو تحديث لتصنيف الكولون والتركيز على الطبعة السابقة التى صدرت بعد طول إنتظار

عام ١٩٨٧ وقد كتب المحرر جوبيناث فى مقدمتها أن الطبعة السابقة تتكون من ثلاث مجلدات حيث يقدم الكشاف أمثلة تطبيقية للنظام فى مجلدين إضافيين، هذا ويجب على المصنفين المبتدئين أن يكونوا ملمين بالفئات الخمسة (PMEST) والدوائر Rounds والمستويات Levels وأدوات الربط Devices وغيرها من عناصر النظام قبل أن يبدأ أحدهم فى تصنيف حتى الموضوعات البسيطة.

الجزء من المجلد الأول ـ الذى يحتوى على خمسة أجزاء ـ مقسم إلى (٢٤) فصلاً ويتضمن هذا الجزء شرح المداخل الثلاثة للتصنيف وهى مرحلة الفكرة Idea Plane ومرحلة اللفظVerbal Plane ومرحلة الرمز Notational pIane، كما يوجد فى الفصل (CT) من الطبعة السابقة أدوات التذكر، كما تم شرح الأدوات التتابعية والجغرافية والموضوعية والهجائية والحصرية فى الفصول من CV إلى CY ، ويلاحظ إستخدام الأدوات الهجائية على نطاق واسع فى هذه الطبعة، وأخيراً نلاحظ إضافات عديدة وتعديلات فى أقسام اللغة Language Isolates والأقسام الزمنية والمكانية.

وإذا كان المؤلفان قد قاما بتحديث ماسبق كتابته عن التصنيف السوفيتى ويظهر ذلك فى المراجع الإضافية لهذا الفصل وبالذات تلك الخاصة بالباحث الروسى Sutiasyan عن تطور ممارسة التصنيف فى الاتحاد السوفيتى (١٩٨٨) فقد نبه المؤلفان إلى التغيرات الجذرية التى حدثت بعد إنهيار الأتحاد الشوفيتى، وتوحيد شطرى ألمانيا، وأن التصنيف السوفيتى الذى كان يرتكز على الإيديولوجيا الشيوعية يعاد النظر فيه حالياً ليلائم الظروف الجديدة، مع بروز البحث الآلى كحل أساسى لتقديم المعلومات بكفاءة وفعالية.

أما **الفصل الخامس عشر** فهو فصل جديد بالكتاب عن تطور وإستخدام نظام التصنيف الصينى، حيث إبتدع الصينيون نظاما جديدا (CPULBC) وسموه بالنظام العشرى الموسع Expan-sive Decimal System ولكن تبين للأمناء مع إستخدامه تعقيده وصعوبته فى كشف المعنى وحل الشفرة، وتم مراجعة التصنيف هذا لتصدر عام (١٩٨٠) الطبعة المراجعة شاملة لعدد (٢٢) قسم رئيسى ويلاحظ أن التصنيف الأخير متأثر إلى حد كبير بتصنيف مكتبة الكونجرس حتى بالنسبة لبعض الحروف المستخدمة ودلالتها (مثل حروف T, S, R)، وسمى النظام المعدل هذا بالنظام المعيارى الموحد لتصنيف الكتاب (CLBC) ومع ذلك فهناك بعض المشكلات العملية فى تطبيقة لاسيما بالنسبة للكتب المتصلة بالتطورات التكنولوجية الحديثة، وهناك تقارب بين الصين وأمريكا فى هذا المجال بدأ بتقارب كل من الجمعية الصينية لعلم المكتبات (CSLS) وجمعية المكتبات الأمريكية (ALA)، وتوقعات ومؤشرات المستقبل تشير إلى مزيد من تبنى الممارسات الأمريكية بالنسبة للميكنة واستخدام الشبكات. ومما سبق يتضح إن مايميز هذا الكتاب ماسبق أن أشرت إليه من أنه ينتهى بتطبيقات عملية على كل من تصنيف ديوى العشرى وتصنيف مكتبة الكونجرس بالنسبة للكتب العربية سواء القديمة منها أو الحديثة، ويفيد هذا الجزء كثيرا فى التدريبات العملية لطلاب مقرر التصنيف بأقسام المكتبات والمعلومات.

ولا أستطيع فى نهاية هذه السطور إلا أن أهنئ مهنة المكتبات والمعلومات العربية بظهور الكتاب بصورته هذه الشاملة المتكاملة لأركان التصنيف فى فلسته وتاريخه وفى نظريته ونظمه وفى تطبيقاته العملية، فليس هناك كتاب عربى أخر بهذا الشمول ولا بهذا العرض العلمى الرائد.